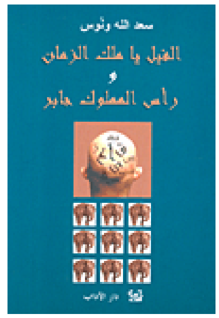
الفيل يا ملك الزمان

سعد الله ونوس



منشورات دار الآداب – بيروت

الفيل يا ملك الزمان

1-

(المسرح فارغ، زقاق تحصره في الخلف بيوت بائسة يتراكم عليها القدم والأوساخ. جلبة بعيدة وراء المسرح. ولولة. امرأة تصرخ . أقدام تتراكض.

يستمر هذا الجو الثقيل فترة.

يعبر الزقاق رجل مسرع الخطى، متجهم الوجه).

الرجل: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. (فترة) لا حول ولا قوة الا بالله العلي الـــ..

(ويختفي في الجهة الثانية من الزقاق.. تسود الضجة المتناهية من اليمين وراء البيوت. ولولة نساء وأصوات ومختلف العبارات التي تنتشر من أفواه الناس أوقات المصائب. يتميز عويل امرأة. ثم يبدأ كل شيء بالخفوت متحولاً إلى همهمة بعيدة تظل مسيطرة على المشهد حتى نهايته.. من اليسار يظهر رجل يعبر الزقاق بخطوات عجلى. يلتقي به رجل آخر يأتي من الجهة التي كانت تتناهى منها الضجة. وجهه مغموم، وخطاه ثقيلة)

الرجل 1(: مستوقفاً الآخر) واذن فالخبر صحيح!

الرجل 2 : يا ويل أمه. ميتة لا يشتهيها المرء لعدوه.

الرجل 1 : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. وأين حدث ذلك؟

الرجل : 2 قرب دكان أحمد عزت. هناك لا يخلو الزقاق أبداً من الأولاد.

الرجل 1 : كنت موجوداً؟

(يدخل رجلان آخران وهما يتحدثان. جميع الذين يدخلون انما يأتون من الجهة التي يتناهى منها الضجيج).

الرجل 2 : جئت تماماً بعد وقوعه. سمعت صراخاً يذبح القلب فركشت أسأل عن الخبر. يا ويل أمه!

الرجل 3 : (يتضح صوته) منظر يفتت الكبد. رأيته بعيني يصير عجيناً من لحم ودم. داس على صدره، بل في أسفل الصدر. رأيت بعيني كيف انبعج بطنه واختلطت أحشاؤه بتراب الزقاق.

الرجل 4 : يا لطيف..

الرجل 2 : أستغفر الله العظيم.

(كل الذين يدخلون، ينضم بعضهم إلى بعض، ويتجمعون في الزقاق).

الرجل 3 : أقسم أنه لم يبق لجسمه شكل. كتلة معموسة من اللحم والدم. اللهم أبعد عنا البلى. يدور رأسي كلما تصورت منظره، لملموه من الزقاق كما تلم البيضة المكسورة.

الرجل2: يا ويل أمه!

الرجل 3 : أرأيتم إلى البيضة حين تسقط على الأرض؟ والله هكذا كان جسمه. كمية من الدم والأمعاء متناثرة على أرض الزقاق.

(يدخل رجل خامس)

الرجل 4 : ماذا تنتظر؟ طفل ليّن العود يدوسه فيل ضخم كفيل الملك. يا لطيف..

الرجل 5 : (منضماً إليهم) هذا الفيل!

(من الهمهمة البعيدة ينبثق عويل امرأة مفجوعة، ثم يتلاشى.)

الرجل1: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

الرجل3 : (متابعاً روايته) أول الأمر لم نعرفه. بدأ الناس يجتمعون وقلوبهم تكاد أن تتوقف من شدة الخوف. كل واحد يفكر بابنه. جميع أولاد الحارة كانوا في الزقاق يلعبون.

الرجل 4 : واختارت المصيبة بيت محمد الفهد دون سائر البيوت.

الرجل2: اللهم ألهم قلبه الصبر وقوة الاحتمال.

الرجل1: وسط الزقاق، وأمام أعين الرجال، كيف يعقل ذلك!

الرجل4: أتسأل!

الرجل5: هذا الفيل!

الرجل3: كان الأولاد يلعبون في الزقاق حين دخل عليهم الفيل. شخر شخيره المعتاد، وأسرع الخطى لا مباليا بشيء. خاف الأولاد، وجروا هاربين. الا أن ابن محمد الفهد تعثّر وارتمى. ولشدة رعبه لم يستطع النهوض من عثرته، فأدركه الفيل وداس فوقه.

(تدخل امرأتان ومعهما طفلة صغيرة تمسكها أمها من يدها. الدموع بادية في عيون المرأتين.)

الرجل1: أستغفر الله .. أستغفر الله..

المرأة1: يا حسرتي ..بكاؤها يمزّق الفؤاد.

الرجل2: الطفل صار حطاما، والفيل تابع سيره غير مكترث بشيء.

المرأة2: (صوت باك) الله يساعدها. تبدو كالمجنونة .

الرجل5: أما الناس فقد سمّرهم الخوف. لم يتجرأ أحد على الاقتراب حتى اختفى بعيداً عن الزقاق.

(تنضم المرأتان والطفلة إلى الرجال. شيئاً فشيئاً يتشكل اجتماع شعبي)

الرجل3) :متنهداً) تعرفون طبعاً.

الرجلان 2و4: (معاً) نعرف يا سيدي نعرف.

الرجل3: فيل الملك.

الرجل5 والمرأة2: (بصوت واحد تقريبا) آه.. هذا الفيل ..

(فترة تتراءى فيها الرهبة والجزع)

الطفلة: أمي.. ولماذا داسه الفيل؟..

المرأة1: من يعرف يا ابنتي.! نصيبه.

المرأة1: أجارنا الله. أجارنا الله. تأتي الأم لتنادي ابنها فتلمّ جثته من الطريق.

الرجل2: مصيبة تنهدّ لها الجبال.

الطفلة: ألن يعاقبوه!

المرأة1: يعاقبون من؟

الطفلة: الفيل..

(الجميع يهزون رؤوسهم)

الرجلان4و5: (بيأس) يعاقبونه!

الرجل2: ومن يستطيع أن يعاقب فيل الملك!

(تدخل امرأة عجوز وهي تولول بصوت حاد، وتضرب بقبضتها على صدرها)(

المرأة3: آه.. يا ويلي.. يا ويلنا جميعا.. لا أمان على طفل ولو وضعته أمه في بؤبؤ العين.

المرأة2: ومن أين الأمان بعد الآن!

المرأة1: الأطفال يداسون في الطرقات.

المرأة3: ولا أحد يجرؤ على الكلام...

الرجلان3و5 :الكلام!

المرأة2: لا أمان على رزق أو حياة.

المرأة3: ولا أحد يجرؤ على الكلام.

الرجلان3و5: الكلام!

الرجل4: بدأت النسوة تخرّف.

الرجل2: (يهز رأسه) كأن الكلام سهل.

الرجل4: لا تعرف ما تقول.

الرجل3: هذا فيل الملك يا امرأة.

(يدخل رجل سادس، وينضم إلى الآخرين)

المرأتان1و2: (معاً، بصوت فارغ) نعم.. فيل الملك.

الرجل6: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. سيدفنونه بلا غسل.

المرأة3: (مولولة) ياضناي..

الرجل3: وهل بقي منه ما يُغسل!

الرجل4 :يا سيدي. طفل كهذا لا يخشى على طهارته .

الرجل5: المهم طهارة الروح لا الجسد.

المرأة1: كقطفة الياسمين. لم يتجاوز السابعة من عمره.

المرأة1: ولم يبصر من الدنيا شياً.

المرأة3: (تعلو ولولتها) آه.. يا لوعة الأمهات.

الطفلة :أمي.. سيحملونه في النعش مثل عمتي.

المرأة1: حماك الله من كل شر. ما ذكّرك بها الآن!

(يدخل عدد آخر من الرجال والنساء، ويتسع الاجتماع)

الطفلة: ولكن النعش كبير.

الرجل5: يا حسرتي.. النعش للكبار والصغار على السواء...

المرأة3: (تعلو ولولتها) لا أمان. لا أمان على شيء.

الرجل3: كفى ولولة يا امرأة.

الرجل7: على مدّ عمري رأيت كثيراً من الفيلة، لكل ملك فيله، ولكن حتى الان لم أر كهذا الفيل شراً وغطرسة.

الرجل8: لا يمر يوم دون أن نرى لوناً من أذاه.

الرجل3 :احذروا..

الرجلان4و5: انه فيل الملك.

الرجل9: والملك يجب فيله كثيرا.

المرأة3: (من خلال نحيبها) ونحن.. ألا نحب أولادنا!

المرأة4: ليخطفني الموت قبل أن يصيب واحداً منهم مكروه.

الطفلة: ولماذا يحب الملك فيلا مؤذياً يا أمي؟.

المرأة1: من يعرف يا ابنتي!

الرجل8: يا الله.. من أين جاءتنا هذه المصيبة!

الرجل9: المصائب مقيمة أبداً..

الرجل7: تعشش في ديارنا كالفئران.

(يدخل زكريا – شاب نحيل، عصبي الوجه، عيناه محتقنتان بالغضب – ومعه رجال آخرون.)

زكريا: (الصوت عنيف وساخط) ما هذا؟ حالة لا تطاق، ولا تحتمل(.يلتفت إليه الجميع بخشية وحذر) ألا يكفينا ما نحن فيه. فقر وعذاب.

الرجل1 :مظالم وأعمال سخرة.

الرجل2: الله يبصر...

زكريا: أوبئة..

الرجل12 :مجاعات..

زكريا: ضرائب تفوق كسبنا الهزيل.

الرجل5: ربكم بصير.

الرجل7 :يتعب اللسان لو بدأنا الحديث عن همومنا.

زكريا: وفوق الحمل يجيئنا هذا الفيل..

المرأة3: (مولولة) لا أمان.. لا أمان على شيء.

زكريا: لم نر يوماً أبيض منذ بدأ يسرح في المدينة.

الرجل8: لا حارس ولا لجام.

زكريا: يلذّه الشر كالغذاء.

الرجل7: كل يوم ضحيّة.

الرجل1: وكل يوم مصاب.

زكريا: البارحة خرب بسطة عيسى الجردي. أتلف كل بضاعته، وتركه يبكي خرابه وافلاسه.

الرجل5: مسكين سيجوع أهله.

زكريا: وابو محمد حسان. أما كاد أن يودي به؟

الرجل11: لولا حلم الله لقضي عليه. ظهره متورّم.

الرجل8: لن يغادر الفراش قبل شهور.

المرأة3: لا أمان.. لا أمان على شيء.

الرجل12: علفت خروفي ثمانية أشهر. دفع لي القصاب عبد الهادي ثماني مجيديّات فلم أبعه، وليتني بعته. هرسه كالبرغوث. عندما صار مكتنزاً باللحم والشحم هرسه كالبرغوث.

الرجل4: يا لطيف..

زكريا: وخربت مزروعاتنا.

الرجل7: لم يدخل أرضاً إلا أفسد زرعها، وأتلف محصولها.

الرجل11 :والنخيل. كم نخلة كسر حتى الآن!

الرجل8: والله كسر النخلة الوحيدة التي أملكها.

الرجل5: أنخلتك فقط؟ ما بقي في البلدة كلها الا النخيل المعمّر القوي.

(ينفر من الهمهمة البعيدة عويل امرأة مفجوعة.)

المرأة4: توجّعي يا امرأة.. توجعي..

المرأة3: يا لوعة الأمهات..

زكريا: وهدم بيت محمد ابراهيم..

الرجل12:الله كبير. لهم بقية من عمر. لو أنهم كانوا في البيت لعظمت المصيبة..

زكريا: واليوم..

الرجل4: يا لطيف..

أصوات: (متداغمة، ومختلطة)أستغفر الله.

-مصيبة..

-الله يساعد..

-كارثة لا يحتملها رجل

-أف..

(ثم تبدأ الأصوات في التمايز..)

المرأة3: لا أمان.. لا أمان على شيء.

الرجل7: في حياتي كلها ما رأيت مثله شراً وأذى. أعوذ بالله. كأن الشيطان يلبس صورته، سحنة مقلوبة تفوح منها الكوارث.

أصوات: يا رب..

-أتنسون أنه فيل الملك!

-ما هذه الأيام السوداء!

زكريا: ويوما بعد يوم ستزداد الضحايا وتكبر المصائب.

الرجل11: اليوم طفل بريء، وغدا من يعرف!

زكريا: يلذّ له الشر ويسره .كلما عاث في الأرض فسادا ازداد شراهة. أتعرفون تلك المخلوقات المصاصة للدماء. كلما تكاثرت ضحاياها ازدادت عطشاً للدم. مزيدا من الدم... (يقسو صوته أكثر) مزيدا من الدم.. مزيدا من الدم..

أصوات: (جزعة ، ومشوشة) – تلطّف بعبادك وارحم.

-حلمك يا قدير يا رب.

-يا جماعة.. أراكم تنسون أنه فيل الملك.

زكريا: يمصّ دمنا المزرقّ. والحالة من يوم إلى يوم تسوء.

الرجل7: وهل بقي في عروقنا دم؟

الرجل2: الله يبصر..

الرجل5: الصبر مفتاح الفرج.

زكريا: والا نصبر!

أصوات: (مبعثرة، ومتتابعة) حتى يفرجها الله.

زكريا: نولد ونموت وأعمارنا ليست إلا انتظارا للفرج. صبرنا على الفقر.

الرجل11: صبرنا على الضرائب والأوبئة.

الرجل7: صبرنا على المظالم وأعمال السخرة.

زكريا: والآن يأتي هذا الفيل فيدوس كل ما بقي لنا.

الرجل11: أولادنا .

الرجل8: أرزاقنا.

المرأة3 :لا أمان.. لا أمان على شيء.

زكريا: ولو دام الحال، فسيأتي دور كل منا كي يبكي ابنه، أو يبكيه أهله؟

أصوات: يا ربي عفوك.

-لا يصيبكم الا ما كتب عليكم.

-العين بصيرة واليد قصيرة.

-يدبرها الله

زكريا: لا.. ما عادت الحالة تطاق.

الرجل3: تطاق.. أو لا تطاق. ماذا بيدنا.

زكريا :بيدنا!

أصوات: حقاً.. ماذا بيدنا..

زكريا: أنا أقول لكم ماذا بيدنا.. نذهب جميعا ، ونشكو أمرنا للملك. نشرح له ما يحلّ بنا،

ونرجوه أن يرد أذى فيله عنّا.

أصوات: (بين الغمغمة والخوف.. بعضها يبدأ قبل أن ينهي زكريا عبارته)

-نشكو أمرنا للملك.

-نشكو أمرنا للملك.

-ندخل إلى القصر.

-ولمَ لا؟

-ومن نحن حتى نتحدث مع الملوك!

-نحن ناس مظلومون.

-ربما يصغي إلينا، ويرأف بحالنا.

-لن يسمحوا لنا.

-الشكوى لا تضرّ ان لم تنفع.

-قد يغضب، فلا يعلم بمصيرنا الا الله.

(ثم تبدأ الأصوات في التمايز)

المرأة3: هو ذا رجل يجرؤ على الكلام.

الرجل7: نذهب ونصرخ قدّامه.. النجدة يا ملك الزمان.

المرأة3: لا أمان على شيء.. لا أمان .

المرأة1: والله لو سمع صراخ أمه، لرق قلبه ولو كان من حجر.

الرجل9: لكن الملك يحب فيله كثيرا.

الرجل3 :يدلله كأنه ابنه أو وزيره.

الرجل4: رأوه يطعمه بيده.

الرجل12: ويشرف على حمامه بنفسه.

الرجل3: سمعت أن الحراس يعزفون الموسيقى حين يخرج من القصر، وكذلك حين يعود.

الرجل9: رغبته ارادة وما يفعله قانون.

الرجل5: كاد الملك أن يطلق زوجة الملكة لأنها لم تترفق بالفيل.

زكريا: (صارخا) مبالغات.. مبالغات لا معنى لها.

الرجل3: تقول مبالغات.. وكأنك لا تعيش في هذه المدينة.

زكريا: (يسيطر صوته على الضجيج) بل أعيش فيها. من منكم رأى الملك يطعم فيله بيده، أو يشرف على حمامه بنفسه؟ بالتأكيد لا أحد. ربما كان يحبه . لا أقول لا. كل الملوك يحبون فيلتهم. غير انكم تبالغون في تصوير الأمور.

الرجل3: صحيح اننا لم نره، ولم نعبر في حياتنا أسوار القصر. لكن لا تنس أن هناك خدما

يدخلون ويخرجون. وأن الأخبار يمكن ان تتسرب من داخل القصر.

الرجل4: بل انها غالبا ما تتسرب.

زكريا: الخدم يحبون المغالاة في أخبار سادتهم. ذلك جزء من حرفتهم.

الرجل7: بالفعل. لعلهم يهولون علينا الأمور لا أكثر.

الرجل9: واذا كان ما يروونه صحيحاً؟

أصوات: سيطردوننا بقسوة.

-سيغضب الملك.

-واذا غضب الملوك فالله وحده يعلم ما يحدث.

زكريا :(مهدئا الضوضاء) ولكن يا جماعة، أصبحت حياتنا لا تحتمل ولا تطاق. ما الذي يمكن أن يخيفنا أكثر من هذا البلاء المقيم؟ التهديد كالسيف فوق رؤوسنا. والضحايا تتزايد من يوم إلى آخر.

الرجل11: مساكن الناس تنهدم، وتتركهم بلا مأوى.

المرأة2 :الأطفال يداسون في الطرقات بلا ذنب.

الرجل: الارزاق تسبى وتضيع.

الرجل5 :النخيل.

الرجل6: الماشية.

المرأة3: (مولولة) لا أمان على شيء.

الرجل3(:ملتفتا إليها بعضبية) كفى ولولة أيتها المرأة.

زكريا: من يريد ان يكون ابنة الضحية الآتية، يلمه من الطريق بلا هيئة؟

أصوات: بعدا للشر.

-حياتي ولا ظفر واحد منهم.

-ما عيشنا بعد أطفالنا؟

زكريا: (الى الرجل الثالث) أنت مثلا. ألا تبالي لو فقدت واحداً من أولادك؟

الرجل3: (مرتبكا) لا أبالي! من قال ذلك. لهم عيني وروحي. (مترددا) لكن..

الرجل7: أي رجل لا يبالي بفقدان أولاده؟

الرجل11 :اللهم سوى الكافرين.

زكريا: وأرزاقكم! أيستوي عندكم خرابها؟

أصوات :يستوي!

-من أين نعيش؟

-البقية الباقية.

-ثم من يعرف ماذا يخبئ الغد؟

زكريا: واذن . أهناك خوف أشد من أن يخاف المر كل لحظة على حياته أو طفله أو ما يملك؟

أصوات: لا والله!

-كلام صحيح.

-كله بلاء، فلماذا لا نحاول؟

-فعلا.

-ماذا ننتظر؟..

(ثم تتمايز الأصوات تدريجيا)

الرجل7 :الحق.. رأي وجيه.

الرجل11: منذ وقت طويل كان ينبغي ان نفكر في ذلك.

زكريا :ومن يعلم؟ ربما كان الملك لا يعرف ما يفعله بنا الفيل.

أصوات: هذا جائز.

زكريا: لا يقولون له خشية ازعاجه.

أصوات: والله جائز.

المرأة3 :فليحي الرجال من أمثالك.

زكريا: لذلك ما من حل آخر. نذهب بأنفسنا ونشكو للملك حالنا.

أصوات: نعم نذهب.

-هو ذا رأي سديد..

-كلما أسرعنا كان ذلك أفضل.

-نقابل الملك.

-نطلب منه انصافنا.

الرجل3: اللهم استرنا بسترك.

الرجل9: هي مخاطرة على كل حال.

زكريا: ألا يزال بعض الرجال يترددون ؟

الرجل11: ولم التردد!

المرأة3: هل ماتت النخوة؟

الرجل3: لمّي لسانك أيتها العجوز.

الرجل7: لم يبق حل آخر.

زكريا: اذن فليجتمع كل الناس في الباحة. نرتب كلامنا، ثم نمضي إلى القصر.

الطفلة: هل أنادي أبي كي يذهب معهم؟

المرأة: (مؤنبة بصوت خفيض) هس.. لا يستطيع أبوك أن يترك عمله.

أصوات :يالله يا ناس..

-فلنجتمع في الباحة.

-الجميع. الجميع.

-سنذهب إلى الملك ونشكو حالنا..

-الرجال والنساء.

-كل من يؤذيه الفيل.

-يالله..

(وفيما يخرجون تخفت الأضواء تدريجيا)

-الجميع بلا استثناء.

-الكثرة أفضل.

-بسرعة.

(يعم الظلام، ويتلاشى ضخبهم)

...

2- تدريبات

(يضاء المسرح. باحة عامة .الناس مجتمعون، يقف زكريا أمامهم. ضوضاء وغمغمات متداخلة غير واضحة)

زكريا :(مهدئاً الضجيج، ومحاولا السيطرة على الجمع) كما قلت لكم مرارا. المهم هو النظام . ان نكون كلمة واحدة وصوتاً واحداً. كلما اتحدت أصواتنا ازداد تأثيرها، واشتد وقعها .ندخل هكذا.. (يمثل ما يقول) ننحني أمام الملك بكل احترام وأدب. ثم أصرخ بملء فمي .الفيل.. يا ملك الزمان.

الجماعة: (أصواتهم مفككة لم تتحد بعد. بعضهم يبدأ متأخراً، بعضهم يخطئ في العبارة، وبعضهم يقول عبارات أخرى. يتضح التفكك ويزداد فقرة بعد الأخرى.)

-قتل ابن محمد الفهد. داسه في الطريق، فصار لحما معجونا بالطين.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: قبل أيام كاد أن يقتل "أبو محمد حسان."

ولا يزال مطروحا في فراشه حتى الآن.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: خرب الأرزاق..

(يتضح أكثر تفكك الأصوات، ويزداد نشازها).

زكريا: يا جماعة، المسألة تحتاج إلى تنظيم وضبط. اذا لم نصبح كلمة واحدة وصوتا واحدا تضيع قيمة شكوانا. لا يحتاج الأمر إلى جهد عظيم. حاولوا أن تصرخوا العبارة في نفس الوقت. معا تبدأون . ومعا تنتهون. لنجرب مرة أخرى.

أصوات :لا تسرعوا..

-حقاً من الأفضل أن نكون صوتا واحدا.

-بلا فوضى.

-هناك من يشذ عن الكلام.

-صوتا واحدا.

زكريا: لنجرب مرة أخرى. اهدأوا .. لنجرب مرة اخرى.

(بعد أن يخف الضجيج) الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: (أصوات متضاربة – (قتل ابن محمد الفهد ... – كسر النخيل..

زكريا: (مشيرا بالسكوت) لا.. لا.. من البداية.

أصوات: نعيد من جديد!

-في الاعادة إفادة.

-اننا نضيع الوقت.

زكريا: من البداية .. ذلك أفيد. المهم اتحاد الكلمة . يالله .. الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: (بدأ الأصوات تتسق) قتل ابن محمد الفهد، داسه في الطريق فصار لحما معجونا بالطيب.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: قبل أيام كاد أن يقتل "أبو محمد حسان". ولا يزال مطروحا في فراشه حتى الآن.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: كسر النخيل. لم يبق في البلدة الا المعمر من النخيل.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: هدم بيت محمد ابراهيم. ولو كانوا تحت سقفه آنذاك لعظم المأتم واشتدت الأحزان.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: يقتل الخرفان. يدوس الدجاج .يظهر الموت اذا بان.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

الجماعة: جعل الرعية بلا أمان..

زكريا: اندبي أيتها المرأة.. اندبي..

المرأة: (تتميز عن الجمع) لا أمان

الجماعة: الأطفال والأرزاق.

المرأة3: لا أمان.

الجماعة: البيوت والحياة.

لا ضمان ولا أمان.. لا ضمان ولا أمان.

زكريا: ثم تتحد كل أصواتنا لنلقي بين الملك ورجاءنا يالله.. ونحن.

الجماعة: ونحن الفقراء سكان المدينة جئنا نشكو حالنا، ومن الملك نتوسل انصافنا . ضاقت بنا الحياة. ضاقت بنا الحياة. ضاقت بنا الحياة.

(يزداد التفكك والنشاز)

زكريا: (ملوحا بيده باحتجاج) مازلنا بعيدين عن الاتقان المنشود . اذا لم تصبح أصواتنا صرخة واحدة. اذا لم تكن كلماتنا مرتبة وواضحة لن يفهم الملك ما نريد. لن يتأثر لحالنا أو يشفق على أوضاعنا. هذه ليست شكوى رجل واحد. بل شكوى الجميع ينبغي أن نقولها بلسان واحد وصوت واحد.

أصوات: من الذي يخطئ..

-كلامه صحيح.

-سينزعج الملك من أصواتنا المتنافرة.

-الويل لنا ان انزعج.

-صوت في الشمال وصوت في الجنوب.

-القصر له احترام.

-تأنوا يا جماعة.

-على مهلكم.

زكريا: سكوت.. سنجرب من جديد.

أصوات: مرة أخرى!

-يكفي.

-ستبح أصواتنا.

-اننا نتأخر.

زكريا: هذه آخر مرة. انتبهوا جيداً، وتجنبوا اختلاط أصواتكم او تنافرها. لننته يا جماعة. سكوت.. استعدوا. الفيل يا ملك الزمان.

(يبدأ الضوء بالانطفاء تدريجي)

الجماعة: (الأصوات أكثر اتساقاً واتحاداً) قتل ابن محمد الفهد. داسه في الطريق، فصار لحما معجونا بالطين.

(وفيما تخفت الاضواء، تتلاشى الأصوات أيضاً. تصبح صدى ثم تخمد)

زكريا: الفيل يا ملك الزمان..

الجماعه: وقبل أيام كاد ان يقتل "ابو محمد حسان."

ولا يزال مطروحا في فراشه حتى الآن.

زكريا: الفيل يا ملك الزمان.

(غمغمة بعيدة تتخامد. ويعم الظلام فترة)

3- أمام قصر الملك:

(كل الناس يجتمعون أمام أبواب القصر الذي يشغل الجزء الأكبر من المسرح. انهم ينتظرون ويلغطون)

أصوات: تأخر الحارس

-لن يسمحوا لنا بدخول القصر.

-ولماذا لن يسمحوا لنا؟

(-صوت زكريا) من حق الرعية، ان ترى ملكها.

-حقها. من الذي يبالي بالحقوق!

-وان لم يسمحوا لنا بالدخول؟

-ماذا نفعل حينئذ؟

(-صوت زكريا) اطمئنوا. لا بد ان يأذن لنا الملك بالدخول عليه.

-وما الضرر في سماع حديثنا!

-يقولون عنه رقيق القلب

-رأيته في عيد التتويج يبتسم.

-كلنا نذكر ابتسامته.

-غير ان الحارس تأخر.

-اللهم جمّلها بالستر.

-قد يكون الملك مشغولاً.

-نحن رعيته.

-لمن نرفع ظلامتنا اذن؟

-لعلها تنتهي على خير.

(-صوت زكريا) لا تنسوا. اللهم ان نكون صوتا واحداً.

-كلمة واحدة.

-أرى الحارس!

-ها هو الحارس أخيراً.

-أي جواب يجمل؟

(يظهر الحارس على باب القصر)

الحارس) :باحتقار) أذن الملك لكم بالدخول.

أصوات: آه .. اذن لنا بالدخول.

-أمدّ الله في عمر الملك.

-آمين.

الحارس: (مقاطعاً الضجة، يزداد الاحتقار في وجهه) ولكن قبل أن تدخلوا نظفوا أحذيتكم جيداً، وانفضوا ثيابكم كيلا يهرّ منها قمل أو براغيث(يبدأ الناس لا شعوريا بمسح أحذيتهم، وتنفيض ثيابهم) وأهم من كل هذا أن تدخلوا بنظام وأدب. اياكم أن تلمسوا شيئاً. وتذكّروا انكم لستم على مزابلكم بل في قصر الملك.

زكريا: لا تخف.. لا تخف.. سنكون عند حسن ظنك في النظام والأدب.

الحارس: اتبعوني اذن. ولا تحدثوا ضجيجاً.

-4أمام الملك

(يتقدم الحارس ووراءه الناس. يتلامح على وجوههم الخشوع والخوف والارتباك ، وكلما تقدموا داخل القصر ستزداد هذه الامارات وضوحاً وقوة. تنتشر بينهم همسات مبحوحة ومندهشة.

أصوات: أترى النوافير؟

-كالخيال.

-انظر إلى الرخام.

-يتلألأ بكل الألوان.

(-صوت زكريا) امشوا بهدوء ولا تجروا أحذيتكم جرا.

-الحراس قساة.

-ينتظرون اشارة وتسقط الاعناق.

-اننا ندخل القصر.

(يرتقون الدرجات المفضية إلى الباب الرئيسي. حارسان يقفان باستعداد على جانبي الباب).

-سيظهر العرش بكل مهابته.

-ترتخي ركبتاي..

-هذا البهو.

-قلبي يدق.

-احذروا ان تلوّثوا السجاد.

-الحيطان تلمع كالنهار.

-أين الملك؟

(يفتح الحارس بابا في صدر البهو يقف عليه أربعة حراس)

-ولكن باب حراسه.

-تشتد الحراسة من باب إلى باب.

-وجوههم من الصوان أو الفولاذ.

-بدأت أتعرّق.

(-صوت الطفلة) أين يختبئ الملك؟

-هسّ...

-نمشي في نفق من الذهب..

(-صوت زكريا) اضبطوا أعصابكم.

-يزيغ البصر...

-أين يمضون بنا؟

-ما هذه التجربة المخيفة!

-أصبح الحراس في كل الزوايا.

-القتل عندهم أهون من التثاؤب.

-القصر كالمتاهة.

(يقف الحارس أمام باب آخر يحرسه عدد كبير من الجنود القساة.)

الحارس: (ملتفتا إلى الجماعة، وقد تزايدت رنة الاحتقار في صوته) الآن تدخلون قاعة العرش. الويل لكم ان بدر منكم شغب أو قلة أدب. للمثول أمام الملك أصول فلا تنسوا ذلك.

زكريا: سنثبت أننا نحسن الوقوف بين يدي الملك أتسمعون؟ يجب أن نكون في غاية الأدب. ندخل في صفوف منتظمة، وننحني باحترام وخشوع، ثم بعدئذ نرفع للملك شكايتنا.

أصوات: سنرى الملك...

-رأسي يدور.

-قلبي يدق.

-قلبي يدق.

(يفتح حارسان مصراعي الباب الكبير)

الحارس: (ميمما وجهه إلى الداخل. لا يزال على الباب) عامة المدينة على الباب يا ملك الزمان.

الملك: (من الداخل) ليدخلوا.

الحارس: احنوا رؤوسكم وادخلوا.

(يتقدم زكريا، يتبعه الناس الذين بدا الذعر والاضطراب يشتتان نظراتهم، وخطواتهم أيضاً.)

أصوات: (مبحوحة، وراعشة) – الملك وبيده الصولجان.

-ضوء كالشمس .

-لا ترفع رأسك.

-الحراس كالأشباح.

-في كل ركن وزاوية.

-العرش عال.

-والملك يتألق كالشهب.

-الملك...

(تتجمد الملامح. يتحول الخوف صمتا باردا. الجميع خافضوا الرؤوس، زكريا في طليعتهم.. يجرون خطوات ثقيلة، ينحنون إلى أقصى حدود الانحناء، م لا يجرؤون على النهوض بعدئذ.)

الملك: ماذا تريد الرعية من ملكها؟

(مت ثقيل. لا اختلاجة ولا حركة. مجموعة من الأجساد المقوسة اليابسة.)

الملك: أأذن لكم بالكلام. ممّ جئتم تشكون؟

زكريا: (متجرئاً ، صوته راجف) الفيل يا ملك الزمان.

الملك: ما خبر الفيل؟

صوت: (راعش من بين الجماعة) قتـــ.. (ثم يختنق الصوت ، ويتلفت صاحبه حوله بذعر.)

زكريا: (يقوي صوته (الفيل يا ملك الزمان.

الملك: (متأففاً) وماله الفيل؟

صوت الطفلة: (خفيضاً)قتل ابن.. (تضع الأم يدها بهلع على فم الصغيرة وتجبرها على السكوت)

الملك: ماذا أسمع؟..

زكريا: (محرجا وغاضبا. يعلو صوته أكثر) الفيل يا ملك الزمان.

الملك :كاد صبري أن ينفذ. تلكم . ما خبر الفيل؟

زكريا: (يائساً، يتلفت نحو الناس المقوسي الظهور في انحناءة خوف) الفيل يا ملك الزمان.
الملك: توقف عن هذا النواح.. الفيل يا ملك الزمان. أما أن تتكلم أو آمر بجلدك.
(يتفرس زكريا في الناس باحتقار ويأس. يتردد لحظات ثم يتغير وجهه، ويتقدم من الملك.)
زكريا: (يمثل ما يقوله بخفة وبراعة) نحن نحب الفيل يا ملك الزمان. مثلكم نحبه ونرعاه. تبهجنا نزهاته في المدينة. وتسرنا رؤياه. تعودناه حتى أصبحنا لا نتصور الحياة دونه. ولكن .. لاحظنا أن الفيل دائما وحيد لا ينال حظه من الهناءة والسرور. الوحدة موحشة يا ملك الزمان. لذلك فكرنا ان نأتي نحن الرعية فنطالب بتزويج الفيل كي تخفّ وحدته، وينجب لنا عشرات الافيال. مئات الافيال. آلاف الافيال. كي تمتلئ المدينة بالفيلة.
أصوات: _كالحشرجة) تزويج الفيل.
الملك: (مقهقهاً) أهذا ما جئتم تطلبونه؟
زكريا: لعل مولاي لا يرد لنا الرجاء.
الملك: (ملتفتا إلى وزرائه وحاشيته) أتسمعون! مطلب في غاية الطرافة. كنت أقول دائما أني محظوظ برعيتي. حنان ورقة في الشعور. رعيتي مليئة بالحنان. كلها حنان. طبعا سننفذ للشعب مطلبه. (يدق الصولجان) فرمانات ملكية. الفرمان الأول يأمر بالخروج إلى بلاد الهند للبحث عن فيلة يتزوجها الفيل. الفرمان الثاني يأمر بمكافأة هذا الرجل الجريء وتعيينه مرافقاً دائماً للفيل. الفرمان الثالث يأمر باقامة فرح عام ليلة العرس، تدق فيه الطبول، وتوزع على الشعب المآكل والمشروبات ويعمّ السرور والانشراح خمسة أيام بلياليها.
زكريا: أدام الله فضل الملك علينا.
أصوات: (كالحشرجة) أدام الله فضل الملك علينا.
الملك: (ضاحكا) مطلبكم أجيب. تستطيعون الانصراف.
(يتحركون بخطوات ذليلة منسحبين، وتخفت الاضواء فترة. بعد ذلك ينتفض الجميع. يقفون صفا أمام الجمهور، وقد نفضوا عن حركاتهم وهيئاتهم مظاهر التمثيل .. بعد لحظات)
الجميع :هذه حكاية.
ممثل5: ونحن ممثلون.
ممثل3: مثلناها لكم لكي نتعلم معكم عبرتها.
ممثل7: هل عرفتم الآن لماذا توجد الفيلة؟
ممثلة3: هل عرفتم الآن لماذا تتكاثر الفيلة؟.
ممثل5: لكن حياتنا ليست الا البداية.
ممثل4: عندما تتكاثر الفيلة تبدأ حكاية أخرى.
الجميع: حكاية دموية عنيفة.

وفي سهرة أخرى سنمثل جميعا تلك الحكاية.

"ثم ينسحب الجميع"..

تمت